جريمة بحقّ العلم

رسالة مفتوحة إلى المجتمع الدولي بشأن استهداف البنية العلمية والتعليمية في إيران

الأمين العام للأمم المتحدة

المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)

العلم تراث إنساني مشترك

يمثّل العلم أحد أهم أشكال التراث المشترك للبشرية. وقد تشكّل عبر قرون من التراكم المعرفي الذي أسهمت فيه حضارات متعددة، ويستمر تقدّمه بفضل التعاون العلمي الدولي وحرية البحث الأكاديمي وصون المؤسسات التعليمية والبحثية.

وكانت الحضارة الإيرانية على مدى التاريخ جزءاً فاعلاً من هذا المسار المعرفي العالمي. فقد قدّم علماء مثل ابن سينا، والبيروني، والخوارزمي، وعمر الخيام إسهامات راسخة في تطور العلوم والفلسفة. وفي العصر الحديث قدّمت إيران أيضاً علماء بارزين مثل محمود حسابي، ومريم ميرزاخاني، ومجيد سميعي، وسعيد كاظمي أشتياني، إلى جانب عدد كبير من الباحثين الذين أسهموا في مجالات مختلفة من المعرفة الإنسانية.

وفي الوقت الراهن تظل إيران حاضرة في المشهد العلمي الدولي. إذ تضم منظومتها التعليمية أكثر من ثلاثة ملايين طالب جامعي ونحو ثمانين ألف عضو هيئة تدريس موزعين على ما يقارب ألفي جامعة ومؤسسة للتعليم العالي والبحث العلمي. ويسهم الباحثون الإيرانيون بأكثر من اثنين في المئة من مجموع المنشورات العلمية المفهرسة في قاعدة سكوبس عالمياً، كما احتلت إيران المرتبة السابعة عشرة عالمياً في الإنتاج العلمي عام 2024. كذلك تحتل البلاد المرتبة الخامسة عالمياً في مجال تقانة النانو، وتستضيف أكبر مجمع تكنولوجي في غرب آسيا، كما تتجلى مشاركتها في التعاون العلمي الدولي من خلال مبادرات مثل جائزة مصطفى العالمية، فضلاً عن وجود ما يقرب من مئة ألف طالب إيراني يواصلون دراستهم في جامعات خارج البلاد.

الهجمات على البنية التعليمية والعلمية

نكتب هذه الرسالة للتعبير عن قلق بالغ إزاء الهجمات العسكرية التي نفذتها الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران في يونيو/حزيران 2025 ومارس/آذار 2026، والتي أدت إلى أضرار واسعة في البنية التحتية المدنية والعلمية والتعليمية. وتشير تقارير متاحة إلى أن عدداً من هذه المواقع قد تعرّض للاستهداف المباشر، ولم تكن هذه الأضرار مجرد خسائر جانبية للنزاع.

ووفقاً للتقارير المتداولة، فقد أسفرت هذه الهجمات عن:

- تضرر أو استهداف نحو 700 مدرسة ومنشأة تعليمية، من بينها القصف المباشر لمدرسة «شجرة طيبة» في مدينة ميناب

- إلحاق أضرار بعدد من الجامعات ومراكز البحث العلمي، بما في ذلك مركز أبحاث الفضاء الجوي، جامعة أصفهان الصناعية، جامعة علم وصنعت إيران، موسسه باستور،جامعة شريف الصناعية و جامعة شهيد بهشتي
- مقتل أكثر من 290 طالباً ومعلمًا داخل المؤسسات التعليمية
- مقتل 33 طالباً جامعياً في مدن مختلفة، إضافة إلى الهجوم على السفينة التدريبية «دنا» الذي أدى إلى مقتل 104 طلاب غير مسلحين
- تعطّل واسع في الأنشطة التعليمية والبحثية، مما أثّر على أكثر من ثلاثة ملايين طالب جامعي ونحو سبعة عشر مليون طالب في المدارس
- تعريض سلامة أكثر من ستين ألف طالب دولي يدرسون ويجرون أبحاثهم في إيران للخطر
- هجمات استهدفت مناطق سكنية، يُعتقد أنها كانت تهدف إلى اغتيال أكثر من عشرين عالماً مع أفراد من عائلاتهم، من بينهم رئيس إحدى أكبر الجامعات غير الحكومية في إيران

إن استهداف العلماء والباحثين والمؤسسات الأكاديمية يثير قلقاً عميقاً بشأن سلامة المجتمع العلمي العالمي. فالعلماء الذين ينشرون أعمالهم عبر القنوات الأكاديمية المفتوحة ويشاركون معارفهم مع المجتمع العلمي الدولي ينبغي ألا يواجهوا تهديداً لحياتهم أو لعائلاتهم أو لمؤسساتهم العلمية. وفي هذا السياق، يرى المجتمع الأكاديمي أن من واجبه الأخلاقي والمهني أن يقف إلى جانب المدنيين، وألا يقتصر على إدانة التدخلات العسكرية، بل أن يدافع أيضاً عن العلم وبنيته التحتية ومؤسساته. كما يتعيّن على الأمم المتحدة والمنظمات الدولية وسائر الدول أن تتخذ موقفاً واضحاً إزاء هذه الممارسات.

حماية التعليم والعلم

إن الهجمات على المدارس والجامعات والمؤسسات البحثية تتعارض مع مبادئ راسخة في القانون الدولي الإنساني. فمبدأ التمييز بين الأعيان المدنية والأهداف العسكرية، كما ورد في البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف لعام 1977، يفرض عدم استهداف الأعيان المدنية، بما في ذلك المؤسسات التعليمية والعلمية. كما تنص اتفاقية لاهاي لعام 1954 الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة على ضرورة حماية المؤسسات التعليمية والثقافية والعلمية.

ومن منظور القانون الدولي لحقوق الإنسان، تثير هذه الوقائع أيضاً مخاوف جدية بشأن احترام الحق في التعليم والحق في المشاركة في التقدم العلمي، وهما حقان أكدتهما كل من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. كما يدين قرار مجلس الأمن رقم 2601 الصادر عام 2021 الهجمات التي تستهدف التعليم أثناء النزاعات المسلحة، ويشدد على ضرورة حماية الطلاب والمعلمين والمنشآت التعليمية. كذلك تؤكد توصية اليونسكو لعام 2017 بشأن العلم والباحثين العلميين أهمية حماية الحرية الأكاديمية وضمان سلامة الباحثين.

وتذكّر هذه الأحداث بما شهدته مناطق أخرى متأثرة بالنزاعات خلال العقدين الماضيين، مثل العراق وأفغانستان وسوريا وفلسطين واليمن ولبنان، حيث تعرضت المؤسسات التعليمية والبحثية لأضرار جسيمة خلال النزاعات المسلحة. وتبرز هذه الحالات التحدي المستمر الذي يواجه المجتمع الدولي في حماية العلم والتعليم في أوقات النزاع.

إن العلم عنصر أساسي في تعزيز التعاون الدولي وبناء السلام على المدى الطويل. ولذلك فإن استهداف المؤسسات الأكاديمية لا يؤثر في بلد بعينه فحسب، بل يمتد أثره إلى المجتمع العلمي العالمي بأسره.

دعوة إلى تحرك دولي

نحن، الموقّعين أدناه من أكاديميين وباحثين وأعضاء في المجتمع العلمي الدولي، ندعو إلى إيلاء اهتمام دولي جاد للهجمات التي استهدفت المؤسسات التعليمية والعلمية والمدنية في إيران، والتي أسفرت — وفق التقارير المتاحة — عن مقتل عدد من الطلاب والمعلمين والباحثين والعلماء.

وعليه، فإننا ندعو إلى ما يلي:

- إصدار بيان رسمي يدين الهجمات التي طالت المؤسسات العلمية والتعليمية في إيران
- إنشاء آلية دولية مستقلة لتقصّي الحقائق بهدف توثيق الهجمات التي طالت المؤسسات التعليمية والبحثية
- تفعيل الآليات القانونية والمؤسسية اللازمة لضمان المساءلة في حال ثبوت انتهاكات للقانون الدولي
- دعم الجهود الرامية إلى حماية العلماء والباحثين العاملين في البيئات المعرضة للمخاطر

إن حماية المؤسسات التعليمية وتعزيز التعاون العلمي الدولي يشكلان أساساً ضرورياً لاستمرار التقدم المعرفي وترسيخ السلام بين الأمم.